

المزاج البارد

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

—>>><<<—

كان لنا في المدرسة الابتدائية مدرس لا نراه إلا معتبساً — لا يفتر له ثمر ولا تنبسط له أسارير وجهه ، ولا تلمع عيناه بنور البشر ، لفطر ما يزوي ما بينهما ، ولكنه على هذا كان لا يكف عن ركوب زملائه المدرسين ورئيسه الناظر أيضاً بالدعابة التي تجيء أحياناً خفيفة محمولة ، وسائفة مستظرفة ، وأحياناً أخرى تكون سمجة ثقيلة لا تطاق . فمن لطيف مزاحه أن العادة جرت في المدارس بأن يصور التلاميذ مع أساتذتهم في آخر للعام المدرسي لتبقى الصور ذكرى لعهد التعلم فصففتنا أمام المصور — القصار من أمثالي في الصدر ، والطوال وراءهم ، وجلس المعلمون على كراسي أعدت لهم أماناً وجيء بكرسي كبير ذي مستدين للناظر ، وكان رجلاً جهولاً ولكنه طيب القلب ، وجعل صاحبنا يروح ويحيى هنا وهناك ليسوى الصفوف كما يزعم ، ويقدم واحداً ويؤخر آخر ، ويقبل ويدبر ، والناظر قلق بصيح به : « اخلص بقي يا فلان افندي » فيقول : « حالا . حالا . إن الله مع الصابرين » ويعضي فيما هو فيه من التسوية والتعديل . وكانت العادة أيضاً أن توضع خلف الصفوف خريطة أو مصور جغرافي كبير فادعى أنه نسي ذلك وذهب يمدد إلى حجرة المدرسين ثم عاد يحمل مصوراً ملفوفاً وعلقه وأبقاه مطوياً ثم صاح بنا : « الآن انظروا كلكم إلى عدسة المصور » فقلعنا ونشر هو المصور الجغرافي وأخذت الصورة فطوى الخريطة وحملها وذهب بها فأعادها إلى حيث كانت ، وجاءت الصور وأدى كل من رغب في الاحتفاظ بنسخة منها الثمن المفروض ومضى بها إلى بيته فرحاً مسروراً . ثم تأملناها على مهل في البيوت فإذا مكتوب وراءنا بالخط الثلث : « حيوانات الدنيا » ، ولا أحتاج أن أقول أن مملتنا نشر خلفنا مصوراً لحيوانات الأرض من أبقار وجاموس وحمر وخيل وأسود وفيلة الخ لا للكرة الأرضية وقاراتها ...

ومما أذكره في باب المزاج العملي أن واحداً من أصدقائي

كاد مرة بحرب بيتي ، فقد زارني فلم يجدني وكنت يومئذ في بيت عتيق له فناء رحيب ، فوقف يصفق وينادي ، فلما قالوا له إني خرجت قال : « سبحان الله العظيم وهل هذا كلام ؟ يُشَبِّك بنات الناس ويهرب ؟ »

وعدت إلى البيت وأنا خالي الذهن مما حدث ، فلما دخلت على أهلي قلت : « السلام عليكم » كما هي عادتي فرأيت أبي تنظر إليّ مقطبة ثم رحن عينها إلى الأرض ، فالتفت إلى زوجتي فإذا هي تنظر إلى الحائط ولا تحول عينها عنه ، كأنما عليه رسم ساحر ؛ فاستغربت وأنكرت هذا الاستقبال الحافل بالندر ولكني آثرت التباه ، وأقبلت على أبي أريد أن أقبل يدها فتناولتها فزعزعتها بعنف وجولت وجهها عني والدمع متحبر في بآقيها فزاد عجبتي وقلت : « مالكم ... جرى إليه ؟ » فصاحت أبي بي : « رح .. رح إلى حيث كنت »

ووجدت زوجتي لسانها فقالت : « أبوه رح إلى حيث كنت » فتأملتها ملياً وأنا أحك رأسي وأحاول أن أهتدي إلى سر هذا اللقاء الغريب فلم يفتح الله علي بشيء ، فقمعت أمامهما وجذبت وجهيهما إليّ وقلت : « خبراني ماهي الحكاية فما أعرف شيئاً أستحق من أجله أن ألقى منك هذه الجفوة »

فأنصحت أبي قليلاً وقالت : « شف بنات الناس ... »

فقاطعتها : « بنات الناس ؟ أي بنات وأى ناس ؟ »

قالت : « هل خطبت ؟ »

فوثبت إلى قدمي وصحت : « خطبت ؟ .. خ .. خ .. »

فقال زوجتي : « ألا ترين كيف يتلطم ؟ إن هذا إقرار »

فصرخت وأنا أ كاد أجن : « أي إقرار ياسني ؟ أين عقلكم »

يا خلق الله ؟ ألا تنكني غلطة واحدة ؟ »

ولا أحتاج أن أقول أيضاً إني خرجت بمحافتي من ورطة فوقت في ورطة . فقد اقتنعت أبي وزوجتي بأن الزواج من أخرى لم يخطر لي على بال ، وإن هذا كان مزحاً ثقيلاً من صاحبي ولكن زوجتي ظلت إلى آخر عمرها تذكر قولي : « ألا تنكني غلطة واحدة ؟ »

ومن الفصول الباردة ما حدث مرة في بيت قريب لنا وكان قد دعانا إلى سهرة في مصر الجديدة حيث كان يسكن ، وكان بين الضيوف اثنان من المصريين الذين تعلموا في ألمانيا ، فاقترح أحدهما

الام يسير العالم ؟

طريق الحرب وطريق السلام

بقلم باحث دبلوماسى كبير



الام يسير العالم ؟ هل يوفق إلى التغلب على أزماته واضطراباته الحاضرة أم يسير حتما إلى حرب جديدة تغمره بالويل ؟ هذا سؤال يتردد اليوم على ألسنة جميع الأمم والافراد ؛ ولكن أشد التغائلين لا يسمعه إلا أن يسلم بأن العالم يجوز حالة من القلق والفوضى لا تبعث إلى الطمأنينة والرضى ، بل نستطيع أن نقول إن العالم يسير اليوم إلى مستقبل محفوف بالنذر والمخاطر ؛ فأينما سرحنا البصر القينا الأمم نجيش بالحصومات والمساكن الداخلية والخارجية وتعالى متاعب العظلة والفاقة والأزمات الطاحنة ، وتسودها حالة ظاهرة من القلق والتشاؤم ؛ وفي أمم عدة تقوم نظم عنيفة طاغية تضطرم بروح الثورة على كل النظم والبادي القاعمة ، وعلى كل المهود الدولية ، وتسحق في الداخل كل الحقوق والحريات العامة وتسلب الفرد كل المزايا والخواص الانسانية ، وتمد الشعوب لمبارك دموية تخوضها في سيل أحلام ومطامع غامضة من السلطان والسيادة . وفي أكثر من ميدان تضطرم اليوم حروب عنيفة قاسية ، تجنى ثمر الجنائيات على شعوب آمنة مسالمة ، وتحصد أرواح البشر بأروع الأساليب والصور ، ولا يجد المضرمون لنارها وازعاجهم عن جرائمهم لأنهم لا يؤمنون إلا بالقوة المهيمنة وخصوصهم ليسوا مثلهم على استعداد للإلتجاء إليها

هذه هي صورة العالم اليوم ، وهي صورة تحمل على التشاؤم أكثر مما تحمل على التفاؤل ، فلم يبلغ العالم منذ الحرب الكبرى ما يبلغه اليوم من الاضطراب والاضطرام والفوضى ؛ وكل ما هنالك يدل على أنه يجتاز مقدمات العاصفة كما كان يجوزها في سنتي ١٩١٣ - ١٩١٤ ، ولأسباب تشبه في معظمها تلك التي أدت إلى الانفجار في سنة ١٩١٤ ؛ ذلك أن الحرب الكبرى قامت لعاملين أساسيين هما الحصومات العنصرية والطامع والمنافسات الاستعمارية ، وتلك الحصومات والطامع والمنافسات هي التي تنير

أن يدعو صديقا له من الألمان ليسمنا قطعة موسيقية ألمانية فكاهية ، وقال إنها : « نمت من الضحك » وأيد زميله قوله ، فقبلنا وذهب رب الدار معهما لدعوة هذا الألماني الذي بُشّرنا بأنه سيميتنا من الضحك وكانت شقته في العارة نفسها فلبثوا أن عادوا ومعهم رجل وقور ، ذو لحية كثيفة ، ووجه رزين ، ونظرة صارمة ، فجعلت أتعجب فيما بيني وبين نفسي كيف يسمع هذا الرجل أن يضحك أحداً كائنات ما كان ما يفتنيه أو يمزقه . وكان الشابان يكلمان الرجل بالألمانية التي لا نعرف منها حرفاً . وجلس الرجل إلى البيانو وشرع يرق فلم يبد لنا - أو على الأقل لي - أن في الأمر ما يضحك ؛ وكان جاداً وكان وجهه ساهما كأنه يحلم ، وغنى وهو يرق بصوت عميق قوى فالتفت إلى أحد الشاينين فالفيتته يتسم فقلت : أبتسم مثله وأستر جهلي بأخاذه قدوة ، وصرت بعد ذلك أخالس الشاينين أو أحدهما النظر وأفعل كما يفعلان فإذا ابتسما ابتسمت ، وإذا ضحكا ضحكت ، وإذا قهقهها أطلقتها بجلجلة ؛ ولم أكن وحدي في هذا الاحتذاء فقد كان الدعويون مثلي جهلاء - أعني باللغة الألمانية - وقد خطر لهم كما خطر لي أن يحاكيوا الشاينين . وكنت ربما عجبت لمطربنا فقد كان إذا ضحكنا أو قهقهنا يرمينا بنظرات حامية فالتفت إلى الشاينين مستغرباً ما يدور عليه من الغضب والغيظ والنقمة فهمس في أذني أحدهما أن هذا هو المضحك .. هذا الجد الصارم على الرغم مما في القطعة التي يفتنيها وما في تلحينها من الفكاهة الواضحة فهزرت رأسي كأنني فهمت وازددت اقتناعاً بأن الأمر مضحك ولا شك ورحت أقهقه . ثم استغثت عن النظر إلى الشاينين والاعتداء بهما ورحت أضحك على مسئوليتي كما يقولون وخلعت ثوب الجهل والتقليد ، ولبست ثوب الدعوى المريض الفضاخ

وأخيراً نهض الرجل عن كرسيه وأدار فينا عيناً تقذف بالشرر وخرج منفضاً محققاً يبرطم ويرجم ونحن تبادل نظرات الانكار لهذا السلوك العجيب فهل كان ضحكنا يا ترى أقل مما يجب ؟ هل خيننا أمه يبلادتنا ؟ لا بل ببجلهنا فقد كان ما يفتنيه قطعة مبكية من مأساة مشهورة ، وكان الرجل المسكين يعتر بأدائها على الوجه الصحيح ، فكاد يحزن إذ كنا نتلقى ذلك بالهزء والسخرية . وقد اعتذرنا إليه بعد بضعة أيام - لما فهمنا الحقيقة وعرفنا أنها كانت مزحة فيبحة - ولكن المسكين كان قد تعذب ليالي لا ليلة واحدة ..

ابراهيم عبد القادر المازني